

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أيدّ رسوله ، بنصره ، وبالمؤمنين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد : فلا يخفى أنّ غزوة (الخندق) ، سببها التقاء المصلحة بين اليهود، ومشركي قريش ، على قتال المسلمين في المدينة المنورة ، وبلغ عددهم (عشرة آلاف مقاتل) ، وثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى ، هزم المشركين من دون قتال ، وذلك بريح هوجاء ، في ليلة مظلمة باردة ، تسمى (ريح الصبا) ، اكتفتهم وحدهم ، فاقتلعت خيامهم ، ودفنت الكثير من رجالهم ، وارتحلوا خاسئين . ثم جاءت غزوة (بني قريظة) ، وحصار المسلمين لهم ، لسبب نكث (بني قريظة) العهد المبرم بينهم ، وبين الدولة الإسلامية ، إذ مالأت قريش حصارها على المسلمين ، وهم في أحلك المواقف ، إذ يتربص بهم عشرة آلاف مقاتل تجمعوا عليهم من مشركي قريش ، والمتحالفين معهم .

تركز البحث على مبحثين ، وخاتمة .

المبحث الأول : الوصف التاريخي لغزوة (الخندق) ، وأثارها الفقهية .

المبحث الثاني : الوصف التاريخي لغزوة (بني قريظة) والقراءة الفقهية لها .

الخاتمة : لخصت فيها كبرى النتائج المستوحاة من البحث .

- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات -

المبحث الاول

غزوة الخندق^(١) (الأحزاب)

٥ هـ / ٦٢٦ م

الوصف التاريخي للغزوة

تأريخ الغزوة:

ذهب جمهور أهل السير والمغازي، إلى أنّ غزوة الخندق كانت في شهر شوال من السنة الخامسة^(٢).

وقال الواقدي^(٣): إنها وقعت يوم لثلاثاء، الثامن من ذي القعدة في السنة الخامسة للهجرة. وقال ابن سعد^(٤): إن الله استجاب لدعاء رسول الله ﷺ، فهزم الأحزاب يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس، وهناك أقوال ترى أنها وقعت في السنة الرابعة للهجرة^(٥).
الراجح: ما ذهب إليه الجمهور، أنها وقعت في شوال سنة خمس للهجرة.

أسباب الغزوة:

التقت المصلحة بين اليهود ومشركي قريش في حرب رسول الله ﷺ، فبنو النضير من اليهود، تم إجلائهم من المدينة، ويرون ما بلغته دولة الإسلام من قوة الشكيمة، وفرض سلطانها على قبائل العرب، وما زالت تلتقم الواحدة تلو الأخرى^(٦). وقريش أخفقت في تحرير طرق تجارتها إلى الشام، في غزوة أحد، على الرغم من إيقاع الخسائر بالمسلمين، فقد ظلت طرق التجارة القريشية مهددة^(٧). لذلك قدم عدد من رؤساء اليهود إلى مكة يحرضون قريشاً على قتال الرسول ﷺ، فسرّ ذلك قريشاً، ثم خرج الوفد نحو غطفان، فاستجاب لهم بنو فزارة وبنو مرة، وأشجع، وتمت اتفاقية عسكرية بين القوى المعادية لدولة الإسلام، ورميها عن قوس واحدة، فخرجت قريش وحلفاؤهم بأربعة آلاف مقاتل، وحشدت غطفان ستة آلاف مقاتل، فكانوا عشرة آلاف، عدا اليهود من بني قريظة التي نقضت العهد المبرم بينها وبين رسول الله ﷺ، وأسندت قيادة الجيش إلى أبي سفيان، واتجهوا شطر المدينة^(٨).

استعداد الرسول ﷺ للمواجهة:

لما سمع رسول الله ﷺ بزحفهم نحوه، استشار أصحابه^(٩)، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه، بقوله: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس، إذا تخوّفنا الخيل خندقنا علينا، فقبل رسول الله ﷺ رأيه، فأمر بحفر الخندق من السهل الواقع شمال غرب المدينة^(١٠)، وهو الجانب المكشوف، فجهات المدينة الأخرى محاطة بالبساتين الكثيفة، والعوارض الطبيعية^(١١) وقسم الخندق بين أصحابه لكل عشرة منهم: أربعون ذراعاً^(١٢).

الوصف العام للخندق:

طوله خمسة آلاف ذراعٍ، وعرضه تسعة أذرعٍ فما فوقها، وعمقه سبعة أذرعٍ إلى عشرة، ومما يستدعي الإعجاب أنّ الصحابة رضي الله عنهم تمكنوا من إنجازها في ستة أيام فقط^(١٣).

قوة جيش المشركين:

عشرة آلاف مقاتل، عدا اليهود من بني قريظة، وهذا العدد يزيد على سكان المدينة جميعاً.

قوة جيش المسلمين:

٣٠٠٠ ثلاثة آلاف مقاتل^(١٤).

مسار المعركة:

خرج رسول الله ﷺ بجيشه، فجعل ظهورهم إلى جبل (سلي)، فتحصنوا به، والخندق بينهم وبين الأعداء، وكان شعارهم، قوله تعالى: {وهم لا يبصرون} وكانت معركة ابتلي فيها المسلمون، ابتلاءً حاسماً، وهي هذا الاتجاه يقول الحق: {إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا* هنالك اتبلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً} [الأحزاب: ١٠-١١]. ويسترسل القرآن الكريم، واصفاً أحوال المؤمنين وغيرهم، فيقول: {ولما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً} [الأحزاب: ٢٢].

أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض، فقد تزعزعت نفوسهم لرؤية الجيش العارم، وقالوا:

لوإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً* وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً} [الأحزاب: ١٢-١٣].

الأحزاب عند أسوار المدينة:

لما وصلت جيوش الأحزاب إلى ضواحي المدينة، راعها ما رأَتْ من أمر الخندق، إذ لا عهد للعرب بمثله في الحروب، فما كان من حُيي بن أخطب، أحد رؤساء اليهود البارزين، إلا أن يوجد فجوةً في المدينة، فحاول التأثير على اليهود من بني قريظة، فنكثوا عهدهم مع المسلمين وانضموا إلى الأحزاب، فاشتد الخطب على المسلمين^(١٥)، ولكن بالمقابل جاء أحد المشركين معلناً إسلامه، هو نعيم بن مسعود بن عامر، فعرض على رسول الله ﷺ تنفيذ أي أمرٍ يريده، فقال له: «إنما أنت رجلٌ واحد فينا، ولكن خذنا إن استطعت فإن الحرب خدعة»^(١٦) فهرع نعيم نحو القوم، وعدّها فرصةً ناجحةً، فهو صديقٌ لنبي قريظة ويتقون به، وأخذ يستعمل دهائه المدهش، وأسلوبه في التعامل، حتى فرّق بين قريش وحلفائها، وبين بني قريظة، وأوقع في نفوس الفريقين الشكَّ في الآخر.

قلب المعركة:

بينما كان المسلمون يواجهون تقاوم الوضع، تسلل أحد اليهود من بني قريظة بالطواف حول حصن نساء المسلمين، فندبت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال لها: لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا الأمر! فاحتجزت - شدت وسطها - ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربتته حتى قتلتته^(١٧).

ولقد كان لهذا الفعل المجيد، من عمة رسول الله ﷺ، أثر عميق في حفظ ذراري المسلمين، حيث ظن اليهود أن الحصون في منعة من الجيش الإسلامي، فلم يجترئوا مرة ثانية للقيام بمثل هذا العمل^(١٨).

نعود إلى قلب المعركة:

فبعد أن تعذّر على المشركين اقتحام المدينة، أخذوا يحومون حول الخندق غضاباً، علّهم يعثرون على منفذ ليجهزوا على المسلمين، غير أن المسلمين استقبلوهم بالنبل^(١٩)، وهكذا استمرت محاولات العبور من المشركين والمكافحة من المسلمين قرابة شهر، قتل رجال من الجيشين.

خسائر المشركين:

١٠ عشرة من المشركين.

تضحيات المسلمين:

ستة من المسلمين.

فكانت غزوة الخندق أقل الغزوات قتلى من المشركين على الرغم من كثرة أعداد المشركين^(٢٠). وبهذا تكون معركة الأحزاب معركة معنوية، أسفرت عن انهزام المشركين نفسياً، وحطمت كلّ آمالهم الهادفة إلى استئصال قوة المسلمين، فليس بوسعها أن تأتي بأكثر مما جمعته، ومما اكتنف النبي ﷺ والذين معه، أنهم حبسوا عن صلاة العصر، أو أكثر منها، فقضاها ﷺ^(٢١) مع الصحابة رضي الله عنهم.

وخلاصة القول:

كانت هزيمة المشركين من دون قتال، وذلك بريح هوجاء في ليلة مظلمة باردة، تسمى (ريح الصبا) جاءت عليهم ودهم، فاقتلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، ودفنت رجالهم، ونادى فيهم قائدهم أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا إني مرتحل، وقد ثبت هذا بنص القرآن الكريم: ﴿يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ [الأحزاب: ٩]، ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وهكذا انفضّت الأحزاب عن المدينة، فتنفّس المسلمون الصعداء، وحقق الله لنبيه ﷺ تضرعه

ودعاه: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(٢٢) وبهذا الانتصار هتف رسول الله ﷺ مبشراً: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم»^(٢٣).

الآثار الفقهية للغزوة:

- ١ . قامت هذه الغزوة على غدر اليهود وكيدهم، وتأليبهم لقريش وغيرها.
- ٢ . إن حفر الخندق يدخل في عموم قوله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}. ودليل على أن الإسلام يستلهم الفائدة من الأمم الأخرى، وإن كانت كافرة.
- ٣ . الخدعة في حرب الأعداء مشروعة - عدا الغدر والخيانة - إذا كانت تؤدي إلى النصر، أو الإقلال من سفك الدماء، وهذا ما طلبه ﷺ من دعوة ابن مسعود أن يَخْدَل بين الأحزاب.
- ٤ . مشاركة الرسول ﷺ أصحابه في حفر الخندق حافز لهم، ومؤشر حقيقي للإيمان بعملهم، ومواساة أيضاً.
- ٥ . شرعية اشتراك المرأة في القتال، إذ لزم الأمر، كما فعلت صفية رضي الله عنها بقتل أحد اليهود المتسللين لحصنهن.
- ٦ . مشروعية قضاء الفائتة من الصلوات، بأي سبب كان، إلا أن من أخزها عن وقتها لعذر مشروع فلا إثم عليه، والعكس كذلك.
- ٧ . التوكل على الله سبحانه وتعالى، والدعاء الخالص مدعاة للنصر.
- ٨ . عدم تمني لقاء العدو، بدليل قوله تعالى: {وكفى الله المؤمنين القتال} وقوله ﷺ: «ولا تتمنوا لقاء العدو، فإنكم لا تدرون لعلكم تُبْتَلون بهم، ولكن قولوا: اللهم أكفناهم وأكفهم بأسهم عنا»^(٢٤).

المبحث الثاني

غزوة بني قريظة

٥٥ / ٦٢٦ م

العرض التاريخي لغزوة بني قريظة

تأريخ الغزوة:

في اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة (الأحزاب) باشر رسول الله ﷺ بالزحف نحو بنو قريظة، وذلك إثر مجيء جبريل عليه السلام وقت الظهيرة وقوله له: أوقد وضعت السلاح؟ إن الملائكة لم تضع أسلحتها، انهض إلى هؤلاء - يعني بني قريظة - فأمر رسول الله ﷺ من ينادي في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»^(٢٥).

وهذا هو المتفق عليه لدى علماء السبر، ولكنهم اختلفوا في تحديد الوقت، والراجح أنها وقعت أواخر ذي القعدة وأوائل ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة^(٢٦).

سبب الغزوة:

هو نكث بني قريظة العهد المبرم بينهم وبين الدولة الإسلامية، ثم مالأت قريش حصارها، بل بدأت تنتهز فرصة الهجوم على المسلمين، وهم في أحلك المواقف حيث يتربص بهم عشرة آلاف مقاتل^(٢٧).

قوة المسلمين:

ثلاثة آلاف مقاتل، وستة وثلاثون فرساً، بقيادة رسول الله ﷺ.

قوة بني قريظة:

٦٠٠ - ٧٠٠ مقاتل^(٢٨)، بقيادة كعب بن أسد، يعاونه حيي بن أخطب.

المسير نحو بني قريظة:

سار رسول الله ﷺ بجيشه شطر بني قريظة، ونزل على بئر يقال له (أنا)، وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لأمر رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد

العصر إلا في بني قريظة» فصلوا العشاء عما عابهم الله بذلك، ولا عنقهم رسول ﷺ.

حصار رسول الله ﷺ لهم:

الراجح أنّ الحصار امتد إلى خمس وعشرين ليلة^(٢٩)، وقد اشتد الحصار عليهم، فبادرهم رئيسهم كعب بن أسد، وعرض عليهم إحدى ثلاث خلال بقوله:

١ . نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمّنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم. قالوا لا نفارق حكم التوراة أبداً.

٢ . نقتل أبناءنا ونساءنا، ونخرج إلى محمّد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد.

٣ . ننزل هذه الليلة ليلة السبت، لعلنا نصيب من محمّد وأصحابه غرة - غفلة -

قالوا: تقصد سبتنا علينا^(٣٠).

مفاوضتهم رسول الله ﷺ:

لما عظم البلاء على بني قريظة، أرادوا الاستسلام والنزول على حكم رسول الله ﷺ، فطلبوا أن يأتيهم أبو لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه، وكان حليفاً لهم، ليستشروه، وقالوا: يا أبا لبابة، أتري أن ننزل على حكم محمّد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى خلقه، يعني الذبح، وقد فهم ذلك من رفض رسول الله ﷺ طلب رسول بني قريظة، شأس بن قيس، حين نديه ليساويهم ببني النضير، من ترك الأموال ولخروج بالنساء والذراري وما حملت الإبل، فأبى ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أنني خنت الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق على وجهه، فربط نفسه بسارية في المسجد، وقال: لا أبرح مكاني هذا، حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، ومّرت ستة أيام وهو على هذه الحالة، حتى نزلت بحقه توبة الله: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ [التوبة: ١٠٢]، فأطلق قيده رسول الله ﷺ، عند خروجه إلى صلاة الصبح^(٣١).

المهم: بعد أن سمع بنو قريظة مشورة أبي لبابة قبلوا النزول على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، ورأوا أنه سيرأف بهم للحلف الذي بينهم وبين قومه، فجيء بسعدٍ محمولاً؛ لأنه كان مصاباً بسهم في ذراعه يوم الخندق، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال صلوات الله عليه: «قوموا إلى سيديكم».

فقضى فيهم سعد رضي الله عنه، أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرة، وأن تقسم أموالهم فأمره رسول الله ﷺ وقال: «قضيت بحكم الله»^(٣٢).

الإجراءات المتبعة:

أمر رسول الله ﷺ باستنزالهم، فحسبهم بالمدينة في دار كيسة بنت الحارث، ثم حفر لهم خنادق، ومن بعد بعث إليهم، فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، وكانوا يأتون أرسالاً، وكان عددهم: أربعمائة^(٣٣).

مصير سبي بني قريظة:

قسّم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة ثلاثة أسهم، للفرس سهمٌ وللفارسي سهمان، وللراجل سهمٌ، وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري إلى نجد، وسعد بن عبيدة إلى الشام، وأعطى لكل واحد بعدد من السبايا، ليبتاها خيلاً وسلاحاً. وقد اصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خفاقة، وقد أسلمت فسرّه ذلك، وتوفي رسول الله ﷺ وهي في ملك يمينه^(٣٤).

قتلى المشركين:

جمع المقاتلة تمّ قتلهم، ولم ينجُ منهم سوى ثلاثة بدخولهم في الإسلام، ونجا آخرون منهم بحصولهم على الأمان من بعض الصحابة^(٣٥)، ولما أظهروه من وفاء بالعهد، بيد أنّ هذه الأخبار لم ترتقِ إلى درجة الاحتجاج بها^(٣٦).

شهداء المسلمين:

رجلٌ واحد، هو خالد بن سويد رضي الله عنه قتلته امرأة من بني قريظة برحى، فقتلها ﷺ به^(٣٧).

مناقشة:

يلو لبعض المتعصبين أو السذج، أن يصف إجراء النبي ﷺ بالعنف والدموية، لذلك أجدني بحاجة لإجلاء حقيقة الأمر.

١. إنَّ بني قريظة من قوم لا تنفع معهم الحسنى، ولا يصدق لهم وعد أو عهد، فهم الذين هدموا ما حرص الرسول ﷺ على أقامته منذ مقامه بالمدينة، فقد تأمروا على قتله، مما كان مدعاةً لغزوة بني النضير، ثم نقضوا العهد في أدق المراحل وأخطرها، فكان يوم الأحزاب، ثم تداعوا من كلِّ حذب وصوب ليجهزوا على المسلمين في المدينة، فكانت غزوة خيبر، فهل من العدل أن يترك هؤلاء ليكملوا غدرهم...؟!.

٢. إنَّ الحكم في بني قريظة جاء موافقاً لقانون الحرب في شريعة بني إسرائيل، فقد جاء في سفر أصحاب العشرون ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣: حين تقرب مدينةً لكي تحاربها، استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك، فلكُ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وتستقبلك، وإن لم تسالك بل عملت معك حرباً فحاصرها، واضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل من في المدينة فتغتمتها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب، وذلك في عهد موسى عليه السلام^(٣٨).

٣. كل ما عامل به رسول الله ﷺ بني قريظة اقتضته سياسة الحرب وطبيعة القبائل العربية واليهودية، وكان لا بد من عقوبة صارمة، لتكون درساً للعابثين بالعهود والمحالقات، ونكالاً لما بين يديها وما خلفها.

٤. غزوة بني قريظة في حدِّ ذاتها امتدادٌ لمعركة الأحزاب؛ لأنهم السبب المباشر والرئيس لإثارتها، وهم أحد الأجنحة المتحزبة لإبادة المسلمين.

٥. وليسفر العداء الدفين في نفوس بني قريظة أنقل المشهد الآتي من دون تعليق: أتى بحبي بن أخطب مجموعةً يداه إلى عنقه، عليه حُلة ثمينة، لبسها للقتل، لكنه عمد إليها فشققها أنملة لئلاً يسلبه إيّاها أحد. فقال له رسول الله ﷺ: «ألم يمكّن الله منك يا عدوّ الله؟ قال: بلى، ولكن والله

ما لمن نفسي في عداوتك، وقد التمت العز في مكانه، فأبى الله إلا أن يمكّنك:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذل

ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله، قدر ملحمة وكتاب كتب على بني إسرائيل، ثم جلس، فضربت عنقه^(٣٩).

٦ . وأخيراً وليس آخراً، اليهود قوم معميّة عن الحق أبصارهم وبصائرهم، والخيانة ومعاداة المؤمنين طبعهم، والقرآن العزيز، تحدّى أن تتغير طبائعهم اللئيمة، ولهذا تلاحقهم اللعنة إلى يوم القيامة، وينأى عن الواقع من يُخدع بمعسول كلامهم، وينشد التعاون معهم استجابةً لمن يسمى بالأصدقاء من الدول الكبرى!

[فليس لنا في سبيل إلى التخلص من شرهم إلا جزم كحزم الرسول ﷺ في معاملتهم، تلك أمانة نؤديها بصدق وإيمان إلى الجيل عساه يستطيع أن يفعل ما لم يستطع فعله جيلنا المتخاذل]^(٤٠). ورحم اله سعداً فقد صاغ حكمة بما يجب أن يُصاغ حُكم بعد الغدر والخيانة، وبما يمليه العدل والمنطق، فأسكت العدل، وأخذ المنطق حجج الناكثين الغادرين.

قراءة الغزوة فقهاً:

١ . جواز قتال من نقض العهد.

٢ . جواز التحكم في أموال المسلمين ومهامهم العظام، والرجوع إلى حكم مسلم عادل، ولا يجوز للإمام ولا لهم الرجوع، ولهم الرجوع قبل الحكم^(٤١).

٣ . مشروعية الاجتهاد في الأحكام الفرعية من أدلتها العامة. كما اختلف فهم الصحابة في حديث رسول الله ﷺ: «لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة».

٤ . مشروعية إكرام أهل الفضل والصلاح وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا، وذلك استنتاجاً من قول رسول الله ﷺ «لأنصار، حينما قدم سعد بن معاذ: «قوموا لسيدكم». وليس هذا من القيام المنهية عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس، ويتمثلون قياماً طول جلوسه^(٤٢).

٥ . جواز وقوع المسلم في الأثم سراً وعلانية، لكنه مطالب بالإسراع إلى التوبة، كما فعل أبو

لبابة رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون سوءاً بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾ [النساء: ١٧].

٦ . ميزة سعد بن معاذ رضي الله عنه، وذلك من قول الرسول ﷺ «لأنصار: «قوموا إلى سيدكم» وإقراره لما حكم في بني قريظة.

٧ . إن الله لا يهمل الظالمين، ولكن يمهلهم، وإنه سبحانه إذا خذل أحداً ليس له نصير يمنعهُ أو يدفع عنه، فإن إرادة الله هي النافذة، وقدره هو الكائن {ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار} [إبراهيم: ٤٢] {ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله} [فاطر: ٤٣] وهذا ما تحقق في مقتل حيي بن أخطب، فقد ألب القبائل العربية واليهودية على محاربة الإسلام، فجعل الله كيده في نحره، وقادته محاولاته إلى حتفه، وحقق لرسوله ما أراد، وحطم الأصنام عند فتح مكة، عام ثمانية للهجرة، فهنا - في الخندق - التفاؤل والبشر والحديث عن النصر الأكيد رغم الخطر المحدق، ولكنها النبوة التي صرح بها رسول الله ﷺ: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم»^(٤٣).

الخاتمة وأهم النتائج

بعد استكمال هذا البحث ، أخص النتائج التي تضمنها .

- ١- التقت المصلحة بينها اليهود ومشركي قريش في حرب رسول الله ﷺ، وتمت اتفاقية عسكرية بنها ، فكانوا عشرة آلاف عدا اليهود من بني قريظة التي نقضت العهد المبرم بينها وبين رسول الله ﷺ ، وأسندت قيادة الجيش أبي سفيان ، واتجهوا شطر المدينة .
- ٢- بينما قوة الجيش المسلمين (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف مقاتل ، بقيادة رسول الله ﷺ.
- ٣- واجه الرسول الله ﷺ، زحف المشركين بحفر خندق ، طوله خمسة آلاف ذراع ، وعرضه تسعة أذرع فما فوقها ، وعمقه سبع أذرع الى عشرة ، تمكن الصحابة رضي الله عنهم من انجازه في ستة أيام فقط .
- ٤- تعذر على المشركين إقتحام المدينة رغم محاولات العبور قرابة شهر ، قتل من المشركين عشرة ، واستشهد ستة من المسلمين .
- ٥- كانت هزيمة المشركين من دون قتال ، وذلك بريح هوجاء في ليلة مظلمة باردة تسمى (ريح الصبا) جاءت عليهم وحدهم ، فاقتلعت خيامهم ، ودفنت الكثير من رجالهم ، ونادى فيهم قائدهم، إني مرتحل: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ .
- ٦- وفي اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ من غزوة الخندق (الأحزاب) باشر عليه الصلاة والسلام بالزحف نحو بني قريظة، وذلك بسبب نكثهم العهد المبرم بينهم وبين الدولة الإسلامية، وانتهازهم فرصة الهجوم على المسلمين ، وهم في أهلك المواقف .
- ٧- امتد حصار رسول الله ﷺ لبني قريظة (خمسة وعشرين ليلة) ، فاشتد الحصار عليهم ، وبعد مفاوضات بين الطرفين ، قبلوا النزول على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، ظناً منهم أنه سيرأف بهم ، وذلك للحلف الذي بينهم وبين قومه .
- ٨- ففضى بينهم سعد ، أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى النساء والذرية ، وأن تقسم أموالهم ، فقال

رسول الله ﷺ (قضيت بحكم الله) .

٩- جميع المقاتلة تم قتلهم ، ولم ينج منهم سوى ثلاثة بدخولهم الإسلام ، ونجا آخرون منهم بحصولهم على الأمان من بعض الصحابة .

١٠- غزوة بني قريظة امتداد لمعركة الأحزاب ، لأنهم السبب المباشر لإثارتها وهم أحد الأجنحة المتحزبة لإبادة المسلمين .

- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات -

هوامش البحث

(١) سميت بالخدق: نسبة إلى الخندق الذي حفر، وسميت بالأحزاب، لإشراك القبائل الوثنية من العرب مع قريش واليهود في أحزاب لمحاربة المسلمين، وتم تسميتها في القرآن ب (الأحزاب)، والأحزاب: جمع حزب، أي طائفة فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، القاهرة، ١٩٩٩م، دار المنار، ط ١، (٤٩٩/٧).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٩٨/٣، أحمد: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الرياض، ١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية/ط ١، ص ٤٤٣.

(٣) الواقدي: محمد بن إسحاق، المغازي، ٤٤٠/٢، بدون إشكال.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٦٥/٢، بإسناد متصل.

(٥) ابن كثير: عماد الدين، البداية والنهاية، ١٠٥/٤.

(٦) د. قلعه جي: محمد رواس، قراءة جديدة للسيرة النبوية، ص ٢٤٢.

(٧) د. العمري: أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ٤١٩/٢.

(٨) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢١٤/٢، ٢١٩، ٢٢٤.

(٩) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن شهاب، (ت ٧٢٧هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دمشق، دار البيان، ص ١٣٤.

(١٠) ابن هشام: السيرة النبوية: ٢٢٤/٢.

(١١) اب قيم: زاد المعاد، ٢٧١/٣. خطاب: محمود شيت، الرسول القائد، ص ١٥٠.

(١٢) ابن كثير: عماد الدين، السيرة النبوية، ١٩٣/٣.

(١٣) السمهوري: نور الدين جمال الدين، وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى، ٤٠٨-٤٠٩.

(١٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢١٩/٢-٢٢٤.

(١٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١١/٣.

(١٦) الحديث بهذا اللفظ رواه الطبري في تاريخه: (٩٦/٢). وقوله ﷺ: «الحرب خدعة» متفق عليه:

البخاري: كتاب ٥٦/ الجهاد والسير، باب ١٥٧/ الحرب خدعة، رقم (٣٠٢٨ - ٣٠٢٩ - ٣٠٣٠).

ومسلم: كتاب ٣٢/ الجهاد والسير، باب ٥/ جواز الخداع في الحرب، رقم (١٧٣٩ - ١٧٤٠).

(١٧) العلي: إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، ١٩٩٨م، ط ٣، ص ٣٦٥، وبالمناسبة أقول:

المتأمل في هذه الرواية يلحظ مبالغة وإجحافاً بحق صحابي جليل نافع عن الدعوة عمره كله، ومما

يوهن هذه الرواية، عدم ذكرها عند أعدائه، وهو الذي طالماً هجاهم، فلينظر. والحديث رواه الحاكم في

المستدرک: (٥٦/٤) رقم (٦٨٦٦ - ٦٨٦٧) وقال هذا حديث كبير غريب بهذا الإسناد، وقدر روي

بإسناد صحيح. ووافقه الذهبي. وللطبراني في المعجم الكبير (٣٢١/٢٤) رقم (٨٩).

(١٨) المباركفوري: صفى الرحمن، الرحيق المختوم، ص ٢٩٥.

(١٩) د. جراد: محمود خلف، فقه الغزوات، ص ٢٩٥.

(٢٠) د. العمري: أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ٤٣٠/٢.

(٢١) انظر: البخاري: كتاب ٥٦/ الجهاد والسير، باب ٩٨/ الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة،

رقم (٢٩٣١). ومسلم: كتاب ٥/ المساجد ومواضع الصلاة، باب ٣٥/ التغليظ في تفويت صلاة العصر،

رقم (٦٢٧).

- (٢٢) البخاري: الكتاب والباب السابقين, رقم (٢٩٣٣). ومسلم: كتاب /٣٢/ الجهاد والسير, باب /٦/ كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء, رقم (١٧٤٢).
- (٢٣) البخاري: كتاب /٦٤/ المغازي باب /٣٠/ غزوة الخندق رقم (٤١١٠).
- (٢٤) أصله في الصحيحين بلفظ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية, فإذا لقيتموهم فاصبروا...». وقد سبق تخريجه في الصفحة السابقة.
- (٢٥) البخاري: كتاب /١٢/ صلاة الخوف, باب /٥/ صلاة الطالب والمطلوب ركباً وإيماءً, رقم (٩٤٦). ومسلم: كتاب /٣٢/ الجهاد والسير, باب /٢٣/ المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين التعارضين رقم (١٧٧٠).
- (٢٦) ابن هشام: محمد, السيرة النبوية, ٢/٢٢١-٢٢٢.
- (٢٧) ابن قيم: زاد المعاد ٣/٣٧١.
- (٢٨) جاء في الكامل في التاريخ, ٢/١٢٧, أن عددهم حوالي ثمانمائة رجل, لكن هذا التقدير يبدو مرجوحاً.
- (٢٩) الطبري: محمد بن جرير, تاريخ الأمم والملوك, ٢/٥٨٢, علماً أنه ذهب إلى أن مدة الحصار شهر, ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله (ت ٧٣٤) عيون الأثر في فنون المغازي والأثر, بيروت ١٩٨٦م, مؤسسة عز الدين, طبعة جديدة, ٢/٦٩.
- (٣٠) هارون: عبد السلام, تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٧٧.
- (٣١) هارون: عبد السلام, تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٧٨.
- (٣٢) قصة حكم سيدنا معاذ رضي الله عنه في بني قريظة رواها بتمامه: مسلم: كتاب /٣٢/ الجهاد والسير, باب /٢٢/ جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عادل, رقم (١٧٦٨ - ١٧٦٩). والبخاري مختصراً: كتاب /٥٦/ الجهاد والسير, باب /١٦٨/ إذ نزل العدو على حكم رجل, رقم (٣٠٤٣).
- (٣٣) الإمام أحمد: مسند أحمد, ٣/٣٥٠, بإسناد حسن. وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري: ٧/٥٢٥, أن عددهم يصل إلى تسعمائة, وقال: الزيادة لأتباعهم ومواليهم.
- (٣٤) هارون: عبد السلام, تهذيب سيرة ابن هشام, ص ١٨١.
- (٣٥) مثل شفاعة سلمى بنت قيس في رفاعة بنت سمول القرظي.
- الشقاوي: عبد الله, اليهود في السنة المطهرة, الرياض ١٩٩٦م, دار طيبة, ط ٣, ١/٣٧٣.
- (٣٦) ابن هشام: محمد السيرة النبوية, ٢/٢٤١-٢٤٣.
- (٣٧) هارون: عبد السلام, تهذيب سيرة ابن هشام, ص ١٨٣. وقصة خلاد بن سويد ذكرها البيهقي بإسناد منقطع وقال: وهذا من قول إسحاق والواقدي, منقطع. السنن الكبرى: (٨٢/٩).
- (٣٨) الندوي: أبو الحسن, السيرة النبوية, ص ٢٦٣.
- (٣٩) الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق, مصنف عبد الرزاق, ١/١٧١.
- (٤٠) د. السباعي: مصطفى, السيرة النبوية, دروس وعبر, ص ١٢٤.
- (٤١) النووي: شرف الدين, صحيح مسلم بشرح النووي, ١٢/٩٢.
- (٤٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- (٤٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/١٢٦, ابن كثير: السيرة النبوية, ٣/٢٢١, وقد سبق تخريج الحديث في ص ٢٠٢.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

- ١- البداية والنهاية: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير, (ت ٧٧٤هـ), تحقيق د. أحمد ملحم, بلاشترنك, بيروت, ١٩٨٧م, دار الكتب العلمية, ط٢.
- ٢- تاريخ الأمم والملوك: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري, (ت ٣١٠هـ), تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, بيروت, دار سويدان.
- ٣- تهذيب سيرة ابن هشام: العلامة عبد السلام محمد هارون, القاهرة, ١٩٨٩م, مكتبة السنة, ط٦.
- ٤- الرحيق المختوم: الأستاذ صفي الرحمن المباركفوري, لبنان, ١٩٩٦م, مؤسسة الرسالة, ط١.
- ٥- زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام محمد بن قيم الجوزية, (ت ٧٥١هـ), تحقيق شعيب الأرنؤوط, وعبد القادر الأرنؤوط, القاهرة, ١٩٨٦م, مؤسسة الرسالة, ط١.
- ٦- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن شهاب بن تيمية, (ت ٧٢٧هـ), دمشق, دار البيان.
- ٧- السيرة النبوية: العلامة السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي, جدة, ١٩٨٩م, دار الشروق, ط٨.
- ٨- السيرة النبوية, دروس وعبر: د. مصطفى السباعي, بيروت, المكتب الإسلامي.
- ٩- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: الأستاذ مهدي روق الله أحمد, الرياض, ١٩٩٢م, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- ١٠- السيرة النبوية: الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير, (ت ٧٧٤هـ), تحقيق مصطفى عبد الواحد, بيروت, (ت ١٣٩٨هـ), دار الفكر, ط٢.
- ١١- السنة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري, المدينة المنورة, ١٩٩٢م, مكتبة المعارف والحكم, ط١.
- ١٢- صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري, (ت ٢٥٦هـ), الرياض, ١٩٩٩م, دار السلام للنشر والتوزيع, ط٢.
- ١٣- صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري, (ت ٢٦١هـ), بيروت, ١٩٦٥م, دار إحياء التراث العربي, ط١.
- ١٤- صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلي, دار النفائس, ١٩٩٨م, ط٣.

- ١٥- الطبقات الكبرى: الإمام محمد بن سعد, (ت ٢٣٠هـ), بيروت, ١٩٩٦م, دار صادر.
- ١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني, (ت ٨٥٢هـ), القاهرة, ١٩٩٩م, دار المنار, ط١.
- ١٧- فقه الغزوات: رسالة دكتوراه, عمان, دار عمار للنشر والتوزيع, ٢٠٠٠م. د. محمود خلف جراد العيساوي.
- ١٨- قراءة جديدة في السيرة النبوية: د. محمد رواس قلعه جي, الكويت, ١٩٨٤م, دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع, طبعة جديدة مزيده ومنقحة.
- ١٩- الكامل في التأريخ: الإمام عز الدين أبو الحسن علي بن أكرم الشيباني المعروف بابن الأثير, (ت ٦٣٠هـ), بيروت, ١٩٦٥م, دار صادر.
- ٢٠- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ: الإمام نور الدين علي بن جمال الدين أبو المحاسن السمهودي, (ت ٩٢١هـ), مصر, مطبعة الآداب, (ب.ت).
- ٢١- مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني, تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي, بيروت, ١٤٠٣هـ, المكتب الإسلامي, ط٢.
- ٢٢- المغازي: الإمام أبو عبد الله بن محمد بن عمر بن واقد, (ت ٢٠٧هـ), تحقيق مارسدن جونس, بيروت, ١٩٨٤م, عالم الكتب, ط٣.
- ٢٣- مسند الإمام أحمد: الإمام أحمد بن حنبل, (ت ٤٢١هـ), مصر, المطبعة الميمنية, ١٣١٣هـ.
- ٢٤- اليهود في السنة المطهرة: الأستاذ: عبد الله الشقاوي, الرياض, ١٩٩٦م, دار طيبة, ط١.

Sources and references

The Holy Quran.

- 1- The Beginning and the End: Al-Hafiz Imad Al-Din Abu Al-Fida Ismail bin Kathir, (d. 774 AH), investigation by Dr. Ahmed Melhem, jointly, Beirut, 1987 AD, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 2nd Edition.
- 2- The History of Nations and Kings: Imam Abu Jaafar Muhammad ibn Jarir al-Tabari, (d. 310 AH), investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Beirut, Dar Suwaidan.
- 3- Refining the biography of Ibn Hisham: The scholar Abdel Salam Muhammad Haroun, Cairo, 1989 AD, Library of the Year, 6th edition.
- 4- The Sealed Nectar: Professor Safi Al-Rahman Al-Mubarakpuri, Lebanon, 1996 AD, Al-Resala Foundation, 1st ed.
- 5- Zad al-Ma'ad in the guidance of Khair al-Abbad: Imam Muhammad ibn Qayyim al-Jawziyya, (d. 751 AH), achieved by Shuaib al-Arna'oot, and Abd al-Qadir al-Arna'oot, Cairo, 1986 AD, Al-Risala Foundation, 1st.
- 6- The legal policy in reforming the shepherd and the subjects: Sheikh Al-Islam Taqi Al-Din Ahmed bin Shihab bin Taymiyyah, (d. 727 AH), Damascus, Dar Al-Bayan.
- 7- Biography of the Prophet: the scholar Sayyid Abul-Hasan Ali Al-Hasani Al-Nadawi, Jeddah, 1989 AD, Dar Al-Shorouk, 8th edition.
- 8- Biography of the Prophet, lessons and lessons: Dr. Mustafa al-Sibai, Beirut, Islamic office.
- 9- Biography of the Prophet in the light of the original sources: Professor Mahdi Roq Allah Ahmad, Riyadh, 1992 AD, King Faisal Center for Research and Islamic Studies.
- 10- Biography of the Prophet: Imam Imad Al-Din Abu Al-Fida Ismail bin Kathir, (d. 774 AH), investigation by Mustafa Abdel Wahed, Beirut, (d. 1398 AH), Dar Al-Fikr, 2nd Edition.
- 11- The authentic Sunnah of the Prophet: Dr. Akram Zia Al-Omari, Medina, 1992 AD, Knowledge and Wisdom Library, 1st Edition.
- 12- Sahih al-Bukhari: Imam Abu Abdullah Muhammad bin Ismail al-Bukhari, (d. 256 AH), Riyadh, 1999 AD, Dar al-Salaam for Publishing and Distribution, 2nd ed.

- 13- Sahih Muslim: Imam Muslim bin Al-Hajjaj bin Muslim Al-Qushayri, (d. 261 AH), Beirut, 1965 AD, House of Revival of Arab Heritage, 1st.
- 14- Sahih Biography of the Prophet: Ibrahim Al-Ali, Dar Al-Nafais, 1998 AD, 3rd Edition.
- 15- Al-Tabaqat Al-Kubra: Imam Muhammad bin Saad, (d. 230 AH), Beirut, 1996 AD, Dar Sader.
- 16- Fath Al-Bari, Explanation of Sahih Al-Bukhari: Imam Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani, (d. 852 AH), Cairo, 1999 AD, Dar Al-Manar, 1st edition.
- 17- Jurisprudence of invasions: PhD thesis, Amman, Dar Ammar for Publishing and Distribution, 2000 AD. Dr.. Mahmoud Khalaf Jarad Al-Issawi.
- 18- A new reading in the biography of the Prophet: Dr. Muhammad Rawas Qala Ji, Kuwait, 1984 AD, House of Scientific Research for Publishing and Distribution, a new, revised and expanded edition.
- 19- Al-Kamil fi History: Imam Izz Al-Din Abu Al-Hassan Ali bin Akram Al-Shaibani, known as Ibn Al-Atheer, (d. 630 AH), Beirut, 1965 AD, Dar Sader.
- 20- Wafaa al-Wafa in the news of the house of the Mustafa, peace be upon him: Imam Nur al-Din Ali bin Jamal al-Din Abu al-Mahasin al-Samhoudi, (d. 921 AH), Egypt, Al-Adab Press, (B.T).
- 21- Abdul Razzaq's work: Abu Bakr Abd al-Razzaq: Abu Bakr Abd al-Razzaq ibn Hammam al-San'ani, investigated by Habib al-Rahman al-Azami, Beirut, 1403 AH, the Islamic Bureau, 2nd ed.
- 22- Al-Maghazi: Imam Abu Abdullah bin Muhammad bin Omar bin Waqid, (d. 207 AH), investigation by Marsden Jones, Beirut, 1984 AD, World of Books, 3rd Edition.
- 23- Musnad of Imam Ahmad: Imam Ahmad bin Hanbal, (died 421 AH), Egypt, Al-Maymaniyah Press, 1313 AH.
- 24- The Jews in the Purified Sunnah: Professor: Abdullah Al-Shaqawi, Riyadh, 1996 AD, Dar Taiba, 1st Editi